الباب الخامس

مصر تحت حكم الرومان

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الأول

مصر والرومان

عرفنا في الباب السابق أن مصر تحولت إلى ولاية رومانية في عام 30ق.م. بعد دخول أوكتافيوس الإسكندرية وانتحار كليو باترا السابعة أخر ملوك البطالمة في مصر.

ونظرا لأهمية مصر الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية بالنسبة للرومان، فقد جعلها أوكتافيوس تحت حكمه المباشر.

كانت مصر هي حقل ومستودع القمح لروما، ويمكننا أن نقول أن فترة حكم الرومان لمصر كانت فترة استغلال اقتصادي في المقام الأول، حيث أعتبر الرومان أن مصر عبارة عن حقلٍ كبيرٍ لزراعة القمح لاطعام الشعب الروماني.

كل هذا جعل الرومان يضعوا لمصر نظامًا عسكريًا واداريا محكمًا يختلف عن سائر الولايات الآخرى.

obeikan.com

وقد عبر المؤرّخ الروماني الشهير (تاكيتوس) عن ذلك بقوله:

"تولى مصر منذ أيام أغسطس المؤله فرسان رومان في منزلة الملوك"

فمن المعروف أن حكم الولايات الرومانية تولاه مندوبين أو نواب عن أغسطس، وكان يختار أغسطس مندوبين للولايات الرومانية المهمة حيث يتواجد فيها حاميات من الفرق الرومانية من بين أعضاء مجلس الشيوخ الذين سبق لهم تولي القنصلية دون الالتزام بسنوات معينة بعد اعتزالهم العمل في روما، وقد سماهم جميعًا بلقب واحد هو (نائب أغسطس البروبريتور– legatus augusti proprietor) ، أما مصر فقد اختار لها حاكمًا مختلفًا من بين طبقة الفرسان وحمل لقبًا مختلفًا وهو لقب (برايفكتوس – praefectus).[1]

لم يختلف وضع مصر كثيرًا في عهد خلفاء أغسطس (أوكتافيوس)، ولعل كان أشهرهم (فسباسيانوس – سبتميوس – سيفيروس – كاراكلا – كاليجولا – كلوديوس – نيرون).

إلَّا أن الإمبراطورية الرومانية، مثلها كغيرها من الدول والإمبراطوريات، قد مرت بحالة من الضعف وشبه الانهيار في

1– (1) د.محمد فهمي عبد الباقي – محاضرات في تاريخ الرومان – ص125

أواخر القرن الثاني الميلادي حتى مجئ الإمبراطور (دقلديانوس) ووصوله إلى الحكم في عام 284م، والذي عمل على برنامج اصلاحي لشتى المجالات في الإمبراطورية الرومانية كلها بما في ذلك الولايات التابعة لها وأهمها مصر.

ولكن كانت مصر حالة خاصة بالنسبة لدقلديانوس في هذا الوقت، حيث انتشرت المسيحية بين عدد كبير من المصريين وهو ما لم يكن في صالح الإمبراطورية الرومانية الوثنية وأباطرتها.

ومن المعروف أن المسيحية دخلت مصر حوالي منتصف القرن الأول الميلادي على يد القديس مرقس الرسول أحد أبرز رسل السيد المسيح السبعين والذي كان له دورًا كبيرًا في التبشير بالمسيحية في مصر وشرع في تأسيس أول كنيسة في مصر (الكنيسة المرقسية بالإسكندرية)، كما أسس أيضًا المدرسة اللاهوتية المسيحية في الإسكندرية.

على أي حال انتشرت المسيحية في كل أنحاء القطر المصري في القرن الثاني الميلادي، وهناك العديد من الأدلة على ذلك لعل أهمها، اكتشاف أربع برديات حفظت لنا نَصَّان من انجيل يوحنا، وترجع كتابتها إلى النصف الأول من القرن الثاني الميلادي، كما عثر أيضًا على نسخ من العهد القديم مكتوبة باليونانية، وكذلك

ما جاء في بردية اهناسيا من أقوال السيد المسيح " ارفع قطعة الخشب فسوف تجدني،اقلب الحجر تجدني "، وهذه دلائل على انتشار المسيحية في مصر.[1]

كلما انتشرت المسيحية، كلما زاد اضطهاد الرومان للشعب المصري المسيحي، فيمكن الجزم بوجود علاقة طردية بين انتشار المسيحية في مصر واضطهاد الرومان للمصريين.

وهذا ما دفع الشعب المصري إلى فكرة الهروب من الاضطهاد الروماني إلى الرهبنة والديرية في الصحاري المصرية الواسعة حفاظًا على دينهم وحياتهم.

ومن شدة بطش دقلديانوس بالمسيحيين اتخذت الكنيسة القبطية من عام 284م بداية للتقويم القبطي، وهو عام تولي دقلديانوس مقاليد الحكم في الإمبراطورية الرومانية.

ظل هذا الاضطهاد في أبشع صورة له، حتى وصل الإمبراطور قسطنطين العظيم إلى حكم الإمبراطورية الرومانية، ومعه حدث تحول خطير أدى إلى تغير ملامح الإمبراطورية الرومانية كلها وولايتها وأهمها مصر.

1- (1) تاريخ مصر في العصر البيزنطي – د. ليلى عبد الجواد –ص25

فقد شهد عصر قسطنطين (306-337م) حدثين مهمين أولهما:

1. الاعـتراف بـالمسيحية دينـا مصرحـا بـه في الإمبراطورية الرومـانية، فيمـا عرف ب (هبـة قسطنطين) عـام 313م، وعرف أيضًـا بـاسم (مرسوم ميلان).
2. نقل عـاصمة الإمبراطورية من رومـا إلى القسطنطينية على ضفـاف مضيق البسفور.

فقد استقر قسطنطين على إقامة عاصمة جديدة على أنقاض مدينة بيزنطة القديمة، والتي عرفت بـاسم الإمبراطورية البيزنطية، وتحولت الولايـات التـابعة لهـا إلى ولايـات بيزنطية، ليبدأ بذلك تـاريخ مصر في العصر البيزنطي.

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الثانى

مصر فى العصر البيزنطى

كما ذكرنا في الفصل السابق أن مصر أصبحت ولاية رومانية عام 30ق.م.، وظلت مصر معروفة بأنها ولاية رومانية حتى تحولت إلى ولاية بيزنطية في عصر الإمبراطور قسطنطين العظيم الذي قام ببناء العاصمة الجديدة للإمبراطورية الرومانية الشرقية والتي عرفت باسم (بيزنطة – القسطنطينية) وأصبحت مصر ولاية بيزنطية منذ ذلك التاريخ (306–337م) وهي فترة حكم قسطنطين، حتى جاء الفتح العربي الإسلامي لمصر على يد عمرو بن العاص عام 641م وانتقل حكم مصر بذلك من البيزنطيين وإمبراطورهم (هرقل) إلى المسلمين.

لم تختلف مظاهر الحياة في مصر البيزنطية عنها في مصر الرومانية كثيرًا، فالاضطهاد الروماني للمصريين ظل كما هو، ولم يلمس المصريون أي تغير في سياسة الحكم نحوهم، وظل الشعب

المصري مهمشًا مضطهدًا لا ينال أبسط الحقوق التي يجب أن يتمتع بها الإنسان لا المواطن حتى.

وهنا سؤال يطرح نفسه !!

بما أن اضطهاد الرومان للمصريين كان اضطهادا دينيًا، حيث ترك المصريين الديانات الوثنية وتقديس الإمبراطور الروماني، واعتنق معظم شعب مصر في هذا الوقت الديانة المسيحية.

اذن، لماذا استمر الروم البيزنطيين في اضطهاد الشعب المصري (الأقباط) رغم اعتراف الإمبراطور قسطنطين بالمسيحية ديانة معترف بها داخل حدود الدولة ؟

الإجابة وباختصار هي أن اضطهاد الروم للأقباط تحول من اضطهاد ديني في العصر الروماني إلى اضطهاد مذهبي في العصر البيزنطي، حيث اعتقد الأقباط في مذهب مسيحي مختلف عن المذهب الذي اعتنقه الإمبراطور وكهنته، وفرضوا مذهبهم على الرعية، فكان ذلك كفيلًا لاستمرار الاضطهاد الذي عانى منه الأقباط على يد الروم سواء كان في العصر الروماني، أو في العصر البيزنطي.

• **النظام الإداري في مصر في العصر البيزنطي:**

وفقا لاصلاحات دقلديانوس، أصبحت مصر ولاية تابعة لدوقية

الشرق التي كان يحكمها كونت الشرق، وقد قسمت مصر من الناحية الإدارية زمن دقلديانوس إلى ثلاثة اقاليم، هي:

1. شرق الدلتا ومصر الوسطى
2. طيبة
3. غرب الدلتا والإسكندرية

وكان يحكم الإقليمين الأولين حاكمين اتخذ كل منهما لقب (برايسس praeses).

أما الإقليم الثالث (الإسكندرية) فوضع تحت امرة حاكم يحمل لقب والي مصر (prafecjus aegypti)، ويتمتع بسلطة أعلى من سلطة زميليه، هذا ويخضع الحكام الثلاثة لسلطة كونت الشرق، ويتولى هؤلاء الحكام الثلاثة السلطة المدنية، أما السلطة العسكرية فقد تولاها قائد يحمل لقب (دوق مصرDuxa Egypti)[1]

وظل هذا التنظيم الاداري ساري في عهد الإمبراطور قسطنطين العظيم الذي سار عليه هو ومن بعده من الأباطرة البيزنطيين مع إدخال اصلاحات طفيفة. **ويتضح من الدراسة أن كل التنظيمات التي قام بها الأباطرة الرومان أو البيزنطيين، سواء كانت تنظيمات ادارية أو عسكرية أو مالية أو غيرها، يتضح عدة نقاط مهمة، وهي:**

1- تاريخ مصر في العصر البيزنطي – د.ليلى عبد الجواد –ص87

1. أهمية مصر للروم وغيرهم من الناحية الاستراتيجية والعسكرية، لذلك كان لابد من وضع نظامًا اداريًا يحكم من خلاله السيطرة التامة على البلاد.
2. كل التنظيمات التي قاموا بها على كل المستويات هدفت إلى استغلال واستنزاف كل موارد مصر لصالحهم.
3. أرهق الشعب المصري إرهاقًا بالغًا في دفعه للضرائب الظالمة والغير مبررة في أحيان كثيرة، وكذلك في طرق جبايتها.
4. عانى الشعب المصري في ظل حكم الروم من الاضطهاد الديني والذي تحول إلى اضطهاد مذهبي في العصر البيزنطي.
5. منع الشعب المصري من مجرد الاشتراك في حكم بلاده.
6. تمتع اليونان واليهود في مصر بامتيازات لم تمنح للمصريين الذين حرموا من أقل حقوقهم.

كل هذا وأكثر جعل الشعب المصري يطمح إلى التخلص من هذا المستعمر الغاصب الذي استنزف موارد البلاد، وسرق أقوات العباد، وأذاقهم مر الاضطهاد، فرحب المصريون بالمسلمين الفاتحين الذين جاءوا من الشرق، بل وقدموا له كل العون، حتى تمكن القائد المسلم عمرو بن العاص من فتح مصر والانتصار على الروم عام 641م.

ليبدأ عصر جديد في تاريخ مصر، وهو الأزهى والأهم، ألا وهو تاريخ مصر في عصر الدولة الإسلامية.